# يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون

بقلم الدكتور: زغلول النجـار

**هذه الآية الكريمة جاءت في نهاية الثلث الأول من سورة الروم، وهي سورة مكية، وآياتها ستون بعد البسملة؛ ويدور محورها الرئيسي حول قضية العقيدة الإسلامية فتنة كبيرة.**

**من الآيات الكونية في سورة الروم الإشارة إلى حقيقة أن الله( تعالى) يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويحيي الأرض بعد موتها، وأن هكذا يكون بعث الخلق من قبورهم.**

**وقبل الوصول إلي ذلك لابد من استعراض سريع لأقوال عدد من كبار المفسرين القدامى والمعاصرين في تفسير هذه الآية الكريمة..**

## من أقوال المفسرين

**في تفسير قوله( تعالى):**

**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون (الروم:١٩)..**

*** ذكر ابن كثير( رحمه الله) ما نصه: وقوله تعالى:( يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المتقابلة، فإنه يذكر خلقه الأشياء وأضدادها ليدل على كمال قدرته، فمن ذلك إخراج النبات من الحب، والحب من النبات؛ وإخراج البيض من الدجاج، والدجاج من البيض؛ والإنسان من النطفة، والنطفة من الإنسان؛ والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن. وقوله تعالى:( ويحيي الأرض بعد موتها) كقوله تعالى:( وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون)، وقوله تعالى:( وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) ولهذا قال:( وكذلك تخرجون).**
*** وجاء في تفسير الجلالين( رحم الله كاتبيه) ما نصه:( يخرج الحي من الميت) كالإنسان من النطفة، والطائر من**



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البيضة،( ويخرج الميت...) النطفة والبيضة( من الحي)( ويحيي الأرض) بالنبات( بعد موتها) أي ييبسها.

* وذكر صاحب الظلال( رحمه الله رحمة واسعة جزاء ما قدم) أنه:... في كل لحظة يخرج حي من ميت ويخرج ميت من حي. وفي كل لحظة يتحرك برعم ساكن من جوف حبة أو نواة فيفلقها ويخرج إلى وجه الحياة، وفي كل لحظة يجف عود أو شجرة تستوفي أجلها فتتحول إلى هشيم أو حطام، ومن خلال الهشيم والحطام توجد الحبة الجديدة الساكنة المتهيئة للحياة والإنبات، ويوجد الغاز الذي ينطلق في الجو أو تتغذى به التربة، وتستعد للإخصاب، وفي كل لحظة تدب الحياة في جنين إنسان أو حيوان أو طائر. والجثة التي ترمى في الأرض وتختلط بالتربة وتشحنها بالغازات هي مادة جديدة للحياة وغذاء جديد للنبات، فالحيوان والإنسان؛ ومثل هذا يتم في أغوار البحار وفي أجواز الفضاء على السواء. إنها دورة دائبة عجيبة رهيبة لمن يتأملها بالحس الواعي والقلب البصير، ويراها على هدى القرآن ونوره المستمد من نور الله.( وكذلك تخرجون)... فالأمر عادي واقعي لا غرابة فيه وليس بدعا مما يشهده الكون في كل لحظة من لحظات الليل والنهار في كل مكان!!.
* وجاء في كل من صفوة البيان لمعاني القرآن، والمنتخب في تفسير القرآن الكريم، وصفوة التفاسير( جزى الله كاتبيها خير الجزاء) كلاما مشابها لا أرى حاجة إلى استعراضه هنا.

## إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي في القرآن الكريم

جاء هذا المعنى في أربعة مواضع من القرآن الكريم علي النحو التالي:
(١).. تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب (آل عمران:٢٧).
(٢) إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأني تؤفكون ( الأنعام:٩٥).
(٣) قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون( يونس:٣١).
(٤) يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون( الروم:١٩).

## الدلالة العلمية للآية الكريمة

تشير هذه الآية الكريمة إلى قدرة الله على خلق الأحياء من المواد الأولية التي أوجدها مع بدء خلقه للكون، وهي مواد ميتة لا روح فيها ولا حياة، وبعد انتزاع الروح من الكائن الحي يعود جسده إلى تلك المواد الأولية التي بدأ خلقه منها، وبذلك فالله( تعالى) وحده هو الذي يملك إخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي؛ وينطبق ذلك على الخلق الأول للحياة، وعلى البعث في الآخرة، كما ينطبق على العمليات الوسطى بينهما من الميلاد، والنمو، والتكاثر، والوفاة؛ وهي عمليات مستمرة إلى قيام الساعة، ومنضبطة بسنن كونية، وقوانين ربانية ثابتة لا تتوقف ولا تتخلف إلى أن يشاء الله، وهذه السنن والقوانين لم يدركها علم الإنسان الكسبي إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وورود الإشارة إلى حقيقتها في كتاب الله الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة بهذه الدقة البالغة لمما يجزم بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية بل هو كلام الله الخالق، ومما يؤكد نبوة هذا النبي الخاتم( صلى الله عليه وسلم) ويشهد بصدق رسالته، وبأنه( صلى الله عليه وسلم) كان موصولا بالوحي، ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض.
وقبل الدخول في شرح الدلالة العلمية للآية الكريمة لابد لنا من التفريق بين تعبيري الحي والميت.

## الحي والميت في اللغة العربية:

( الحياة) في العربية ضد الموت؛ و(الحي) ضد الميت، و(المحيا) من الحياة؛ يقال:( أحياه) الله( فحيي) و(حي)، وللجمع( حيوا)، و(الحيوان) ضد الموتان.
وفي المقابل فإننا نجد أن( الموات) بالفتح هو كل ما لا روح فيه، وهو أيضا الأرض التي لا مالك لها، والتي لا ينتفع أحد بها؛ و(الموت) ضد الحياة؛ يقال للحي إذا فارق الحياة أنه قد( مات)( يموت)، و(يمات)، فهو( ميت) ( بالتشديد والتخفيف)، وجمعه( موتى) و(أموات) و(ميتون)[ بالتشديد والتخفيف]، ويستوي في ذلك المذكر والمؤنث؛ و(الميتة) ما لم تلحقه الذكاة، و(الموات) بالضم هو( الموت)؛ يقال:( أماته) الله( موتة)؛ و(المستميت) المتعرض للمخاطر إلى حد الموت؛ و(المتماوت) المتظاهر بالموت من قبيل الرياء؛ ويقال للنوم أنه( موت خفيف



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو مؤقت) و(للموت) أنه نوم ثقيل ودائم إلى يوم البعث.

## الموات في كوننا:

يتكون الجزء المدرك لنا من الكون في غالبيته من غاز الأيدروجين الذي يشكل أكثر من ٧٤% من مادة الكون المنظور؛ وغاز الأيدروجين هو أخف العناصر وزنا، وأقلها تعقيدا أي أبسطها بناء، وهو مادة غير حية. ويلي غاز الأيدروجين كثرة في الجزء المدرك لنا من الكون غاز الهليوم الذي يشكل ٢٤% من مادة الكون المنظور، وهو ثاني العناصر المعروفة لنا، ويتكون في داخل الشمس باتحاد أربع من نوى ذرات الأيدروجين وتنطلق الطاقة، ومعنى ذلك أن باقي العناصر المعروفة لنا التي يزيد عددها على مائة عنصر تشكل أقل من ٢% من مادة الكون المنظور، وهي كلها غير حية، وقد أدت هذه الملاحظة إلى الاستنتاج الصحيح بأن جميع العناصر قد تخلقت باتحاد نوى ذرات الأيدروجين بعملية تعرف باسم الاندماج النووي، وهذه العملية تتم في داخل نجوم السماء التي ينظر إليها على أنها أفران ذرية كونية تتخلق فيها العناصر بالتدريج من أخفها وهو غاز الأيدروجين بعملية الاندماج النووي حتى تصل سلسلة هذه العمليات إلى إنتاج عنصر الحديد الذي لا يتم إنتاجه إلا في داخل النجوم العملاقة وفي مراحل توهجها الشديد المسماة باسم( المستعرات العظام)، وحينما يتحول قلب المستعر الأعظم إلى الحديد يكون قد استهلك طاقته فينفجر هذا النجم الأعظم، وتتناثر أشلاؤه في صفحة السماء، لتدخل في نطاق جاذبية عدد من الأجرام بتقدير من الله( تعالى) على هيئة النيازك ورماد الشهب، وقد تتعرض بعض نوى ذرات الحديد في أثناء هذه الرحلة في صفحة السماء لاصطياد عدد من الجسيمات الأولية للمادة "بتقدير من الخالق سبحانه وتعالى" فيتكون من العناصر ما هو أعلى وزنا، وأعقد بناء من الحديد.

وباتحاد نوى ذرات العناصر مع الإليكترونات تكونت الذرات، وباتحاد الذرات تكونت الجزيئات، وباتحادها تكونت المركبات.
وعندما انفصلت أرضنا عن الشمس( أو عن السديم الذي تكونت منه الشمس)، لم تكن سوى كومة من الرماد ليس بها من العناصر ما هو أعلى وزنا من( السيليكون)، ثم رجمت بوابل من النيازك والشهب الحديدية التي بها بعض العناصر الأعلى وزنا من الحديد، فاندفعت تلك المواد العالية الكثافة إلى قلب الأرض الأولية( كومة الرماد) فانصهرت وصهرتها ومايزتها إلى سبع أراضين: لب صلب داخلي أغلبه الحديد والنيكل، يليه إلى الخارج لب سائل أغلبه كذلك الحديد والنيكل، ثم أربعة أوشحة متتالية تتناقص فيها نسبة الحديد من الداخل إلى الخارج، ثم الغلاف الصخري للأرض وبه ٥,٦% من الحديد، وفي أثناء عملية التمايز تلك تكونت مركبات المعادن التي كونت الصخور الأولية( النارية)، والتي بدأت بها دورة الصخور. ومن الصخور النارية تكونت كل من الصخور الرسوبية والمتحولة، ومع تكون الصخور النارية، عبر المتداخلات النارية، والثورات البركانية أخرج الله( تعالى) من داخل الأرض ماءها، وغلافها الغازي، وهذه النطق الثلاث: الغلاف الصخري، والمائي، والغازي كلها مواد ميتة لا روح فيها ولا حياة.
ويقدر عمر الأرض بنحو ٤٦٠٠ مليون سنة، بينما يقدر عمر أقدم أثر للحياة على سطحها بنحو ٣٨٠٠ مليون سنة، أي أن الأرض أخذت ثمانمائة مليون سنة على الأقل من أجل إعدادها لاستقبال الحياة، والله( تعالى) قادر على أن يقول للشيء كن فيكون، ولكن هذا التدرج قصد به أن يفهم الإنسان سنن الله في الخلق، وأن يحسن توظيفها في عمارة الأرض، وفي حسن القيام بواجبات الاستخلاف فيها.

## الأحياء على أرضنا:

يحيا على يابسة أرضنا اليوم، وفي مياهها، وتحت هوائها من صور الحياة المدركة بلايين البلايين من الأفراد التي تنطوي في نحو المليوني نوع من أنواع الحياة، تجمع في ست ممالك هي: البدائيات، الطلائعيات، الفطريات، النبات، الحيوان، والإنسان.. التي ينقسم كل منها إلى عدد من القبائل، والفصائل، والرتب، والأجناس، والأنواع. وبمعدل الاكتشافات الحالية يتوقع العلماء أن عدد الأنواع التي عاشت على الأرض واندثرت، والتي تعيش اليوم سوف يصل إلى نحو خمسة ملايين نوع من أنواع الحياة، يمثل كل نوع منها ببلايين الأفراد، ويتراوح متوسط عمر كل نوع من أنواع هذه الحياة بين نصف مليون سنة وخمسة ملايين من السنين.
وكل نوع من أنواع هذه الحياة أعطاه الله( تعالى) القدرة على القيام بجميع العمليات الحيوية من أمثال التغذية، والقدرة على القيام بالتمثيل الغذائي( الأيض)، وعلى الإخراج، والتنفس، والنمو، والتكاثر، والتكيف، والحركة. ( باستثناء النبات)، والإحساس، إلى غير ذلك من الميزات التي تستخدم للتفريق بين الأحياء والأموات( الموات) في كوننا المدرك.



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

## إخراج الحي من الميت:

إن قضية الخلق بأبعادها الثلاثة: خلق الكون، خلق الحياة، وخلق الإنسان هي من القضايا الغيبية التي لا تخضع لإدراك الإنسان، وفي ذلك يقول الحق( تبارك وتعالى):

ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض، ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا( الكهف ٥١).

ولكن القرآن الكريم الذي أنزل فيه ربنا( تبارك وتعالى) قراره هذا يقول لنا أيضا فيه:

قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير ( العنكبوت: ٢٠).

وبالجمع بين هاتين الآيتين الكريمتين يتضح لنا بجلاء أنه على الرغم من كون عملية الخلق عملية غيبية غيبة كاملة، لم يشهدها أحد من المخلوقين إلا أن الله( تعالى) من رحمته بنا أبقى لنا في صخور الأرض وفي صفحة السماء من الشواهد الحسية ما يمكن أن يعين الإنسان على وضع تصور ما عن كيفية الخلق، ويبقى هذا التصور متأثرا بخلفية واضعه، فتتعدد النظريات في قضية الخلق تعددا كبيرا، ويبقى للمسلم نور من الله( تعالى) في آية قرآنية كريمة، أو في حديث نبوي صحيح السند عن رسول الله( صلى الله عليه وسلم) يمكن أن يعينه على أن يختار من بين هذه التصورات أو النظريات واحدة تتفق مع النص القرآني أو مع الحديث النبوي الصحيح أو معهما معا فيرتقي بهذه النظرية إلى مستوى الحقيقة انتصارا للعلم بالقرآن الكريم أو بالحديث النبوي الشريف وليس العكس، وهذه منزلة من منازل العلم لا يرقاها إلا المسلم.

وتحدث الدهريون عن التطور الكيميائي، ومن بعده عن التطور العضوي، ونحن معشر المسلمين لا اعتراض لنا على ذلك لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها كما علمنا المصطفى( صلى الله عليه وسلم)، فإذا كان المقصود بالتطور هو تدرج عمارة الأرض بأنماط من الخلق تزداد تدريجيا في العدد وفي تعقيد البناء، فهذا حق يقوم عليه الدليل وتؤكده الملاحظة، وتدعمه الحجة، ولكن أعداء الدين انطلقوا بهذه الملاحظة الصحيحة إلى ثلاثة استنتاجات خاطئة تماما هي:

### (١)الإدعاء بعشوائية الخلق الأول:

والملاحظة العلمية الدقيقة تشجب ذلك وترفضه، لأن هذا الفرض يقتضي عشوائية بناء الحمض الأميني ( وهو لبنة بناء الجزيء البروتيني الذي هو لبنة بناء الخلية الحية)، وعشوائية تجمع هذه الأحماض الأمينية لبناء مائتي ألف نوع من الجزيئات البروتينية، والتي تجمعت عشوائيا لبناء أول خلية حية، التي تشعبت من بعد إلى ملايين الأنواع من أنواع الحياة التي مثل كل نوع منها ببلايين الأفراد، بطريقة عشوائية محضة والحقيقة العلمية المؤكدة هي أن كلا من الحمض الأميني والجزيء البروتيني على قدر من التعقيد في البناء، والدقة في ترابط الذرات والجزيئات لا يمكن للصدفة أن تصنعه أبدا...!!

### (٢) الإدعاء بعشوائية التدرج في الخلق:

وهذا الافتراض ترفضه أيضا الملاحظة العلمية الدقيقة لأن لكل نوع من أنواع الحياة عددا محددا من الصبغيات التي تحمل شفرته الوراثية وتتحكم في صفاته ونشاطاته ومنها الانقسام والتكاثر، وهذه الشفرة الوراثية على قدر من الدقة والتعقيد لا يمكن للصدفة أن تكون قادرة على إبداعه أبدا.

ثم إن عملية تدرج عمارة الأرض بأنماط الحياة تمت بإتقان معجز، لعب فيه كل طور من أطوار الحياة دورا في إعداد الأرض للطور التالي، ولا يمكن للصدفة أبدا أن ترتب ذلك. ثم إن هناك انقطاعات في سجلات الحياة الأحفورية تؤكد حقيقة الخلق، وتنفي عشوائية التدرج.

### (٣) الإدعاء بعشوائية ظهور الإنسان عن هذه السلسلة الطويلة من الخلق:

وهذا أيضا هروب مقصود من الاعتراف بالخالق( سبحانه وتعالى) والملاحظات العلمية الدقيقة ترفضه ولا تؤيده. فتمايز الشفرة الوراثية للإنسان، وتحديد عدد الصبغيات التي تحملها، وما ميز الله( تعالى) به الإنسان من صفات تشريحية ونفسية، وقدرات عقلية تنفي ذلك الزعم وتدحضه، وتمايز الهيكل العظمي للإنسان فوق أعلى مخلوق قبله كصفة وحيدة تنفي تخرص المتخرصين، وتزييف المزيفين، لأن هذا القدر من التمايز لا يمكن أن يتم في الفترة الزمنية القصيرة التي عاشها نوع الإنسان على الأرض، أضف إلى ذلك ذكاء الإنسان، وقدرته على الكلام، ومهاراته المختلفة، وقدرته على الشعور، والانفعال، والتعبير عن ذلك، وقدراته على كسب المعارف والمهارات وتعليمها، كل ذلك يؤكد الخلق الخاص للإنسان وفصله عن كل صور الحياة من قبله.

وإن قدرة الشفرة الوراثية في الإنسان علي الانقسام وتكرار نفسها ترد الجنس البشري كله إلى أب واحد هو آدم



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

( عليه السلام) وفوق ذلك كله فإن دقة بناء الخلية الحية، وإحكام عملها، وانضباط كل نشاطاتها على الرغم من ضآلة حجمها( أقل من جزء من عشرة ملايين جزء من المليمتر المكعب)، تنفي ذلك فلها جدارها الذي يبدو كالسور العظيم الذي تتخلله بوابات تفتح وتغلق بانتظام معجز، ولها جيوش دفاعية، وأخرى هجومية، وثالثة احتياطية، ولها قوى وأجهزة كهرومغناطيسية، ولها مسئولون عن التموين، وقدرة على تصنيع أكثر من مائتي ألف نوع من أنواع البروتينات، ولها علاقات داخلية منضبطة، وأخرى خارجية مع غيرها من الخلايا الموجودة حولها، ولها شفرة وراثية معجزة، وغير ذلك من الصفات التي لا يتسع المقام لسردها، وهذا كله لا يمكن أن يكون للصدفة دور فيه.

وخلق الخلية الحية من عناصر الأرض الميتة هو أعظم صور إخراج الحي من الميت التي أشارت إليها الآية الكريمة، وكذلك إعادة بعثها في يوم القيامة.
ومن صور ذلك أيضا قدرة الخالق المبدعة التي أعطاها لكل كائن حي لتحويل عناصر الأرض وجزيئات الماء والهواء( وكلها من المواد الميتة) بتقدير من الله( تعالى) إلى مواد حية كما يحدث في عملية التمثيل الضوئي التي تقوم بها النباتات الخضراء فتأخذ عناصر الأرض والماء من التربة، وتأخذ ثاني أكسيد الكربون من الجو والطاقة من الشمس، في وجود صبغة خضراء تعرف باسم( اليخضور) أو غيرها من الصبغات النباتية وبعض الإنزيمات التي يفرزها النبات لتكوين الكربوهيدرات من مثل السكر، والنشا، والسيليلوز وهي مواد في غاية الأهمية لأنها تعد مكونات أساسية في بناء مختلف أجزاء النبات وفي طعام كل من الإنسان والحيوان.

وفي كل من الإنسان والحيوان وفي بعض النباتات تتحول المواد الغذائية من الكربوهيدرات وغيرها إلى البروتينات وهي مركبات عضوية تتكون من جزيئات معقدة باتحاد ذرات الكربون والأيدروجين بذرات كل من الأوكسجين والنيتروجين، بالإضافة أحيانا إلى ذرات الكبريت أو الفوسفور. وتتكون كل الأنسجة الحية في الإنسان والحيوان من البروتينات التي تعد الوحدات الأساسية في بناء مختلف الخلايا الحية، وتقوم بالعديد من الدعم والحركة في كل من العضلات والعظام، وفي عمليات نقل الدم ورسائل الأعصاب، وفي حفز مختلف التفاعلات الحية في الخلايا من مثل ما تقوم به بعض الإنزيمات والهرمونات وكلها من البروتينات.
وأجساد الكائنات الحية تتجدد باستمرار ماعدا الخلايا العصبية، فجسم الإنسان يفقد من خلاياه في كل ثانية حوالي ١٢٥ مليون خلية في المتوسط تتهدم وتموت، ويتكون غيرها في الحال.
هذه صورة من صور إخراج الحي من الميت و إخراج الميت من الحي حيث تتحرك المواد الميتة بين الأرض، ومائها، وهوائها، والطاقة القادمة إليها من الشمس لتخليق المواد اللازمة لبناء الخلية الحية من الكربوهيدرات والبروتينات وغيرها من المواد التي تنبني منها الخلايا الحية الجديدة في كل من عمليات النمو والتكاثر، فإذا ما ماتت هذه الكائنات الحية عادت مكوناتها إلى كل من الأرض، ومائها، وهوائها ليخرج الله( تعالى) الميت من الحي وهذه حقائق لم يدركها الإنسان إلا في أواخر القرن العشرين.. فسبحان الذي أنزل القرآن بعلمه، على خاتم أنبيائه ورسله، ليكون حجة على أهل عصرنا الذين فتنوا بالعلم ومعطياته فتنة كبيرة، حجة قائمة على الذين ينكرون ربانية القرآن، ونبوة خاتم الأنبياء والمرسلين( صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين) وهي حجة بالغة على كل كافر ومشرك ومتشكك... والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون( يوسف: ٢١).



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com